



علاقة الإنسان بالبيئة، مقاربة أخلاقية.

Human Relationship with the Environment, an Ethical Approach

زهية دالي¹

جامعة مصطفى اسطمبولي بمعسكر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،

z.dali@univ-mascara.dz

تاريخ النشر: 2025/08/15

تاريخ القبول: 2025/07/12

تاريخ الاستلام: 2025/06/29

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى توضيح مدى العلاقة الموجودة بين الإنسان والبيئة، باعتباره جزء من عالم الطبيعة في نشأته وتكوينه واستمراره ووجوده فهو يتفاعل معها وبشكل مستمر مع ظروفها البيئية، يتأثر بها ويؤثر فيها، فيأخذ منها ويعطي ما هو مكلف بإصلاح ما لحق منها من فساد وتخريب منه، لذا فالمخاطر التي تتعرض لها البيئة اليوم ما هي إلا نتاج لوجود ضعف أخلاقي وإن لم نقل ضعف الوازع الأخلاقي والديني معا.

لذا فالأخلاق لا تعتبر ذلك الحصن المنيع الذي يكسب الإنسان معنى لإنسانيته وعلاقته بالآخرين والذي يؤمن استقراره الداخلي وينظم علاقاته فحسب، وإنما هي أيضا -الأخلاق- عنصر مهم وأساسي لتوفير الحماية للبيئة فمن خلالها يحافظ الإنسان على استقراره البيئي، وإن تعبت المنظومة الأخلاقية وتردى الإنسان روحيا كان ذلك مؤشرا على ظهور وازدياد بل تفاقم المخاطر البيئية فمثلا عن الأزمات والمشكلات الاجتماعية، من هنا كان من الضروري إصلاح الإنسان قبل البيئة، لأن إصلاحه أخلاقيا تصلح البيئة وتسود المبادئ والقيم الأخلاقية وتختفي مبادئ النفعية والأنانية في المجتمع، وبالتالي يسود منطق السلام على الإنسان والبيئة وتزول المفاهيم المغلوطة في علاقتهما.

كلمات مفتاحية: الإنسان؛ البيئة؛ الأخلاق؛ المخاطر البيئية والاجتماعية؛ علاقة الإنسان بالبيئة.

Abstract :

This research paper aims to clarify the extent of the relationship between man and the environment, as he is part of the natural world in its origin, formation, continuity and existence. He interacts with it and continuously with its environmental conditions, is affected by it and affects it, taking from it and giving what he is charged with repairing the corruption and destruction that has befallen it. Therefore, the dangers that the environment is exposed to today are nothing but the result of the existence of moral weakness, if not the weakness of the moral and religious deterrent together. Therefore, ethics are not only considered the impregnable fortress that gives man meaning to his humanity and his relationship with others, which ensures his internal stability and regulates his relationships, but they are also -ethics- an important and essential element for providing protection for the environment, through which man maintains his environmental stability. If the ethical system becomes tired and man deteriorates spiritually, this is an indication of the emergence, increase, or even exacerbation of environmental risks, for example, in social crises and problems. Hence, it was necessary to reform man before the environment, because by reforming him morally, the environment is reformed, ethical principles and values prevail, and the principles of utilitarianism and selfishness disappear in society. Consequently, the logic of peace prevails over man and the environment, and the misconceptions in their relationship disappear.

Keywords: Human; Environment; Ethics; Environmental and Social Risks; Human-Environment Relationship.

مقدمة

إن للجهل أشكال كثيرة وكلها تنطوي على خطر لذا يجب علينا أن نتخطاها ولعل من أكثر الأشياء التي تغيب في أذهاننا كبشر علاقتنا بما يحيط بنا وهي البيئة أو الطبيعة، ولكي نغرس هذه الفكرة يجب أن يعرف الإنسان أن علاقته بالبيئة علاقة تفاعل متبادل وليس صراع دائم، فالإنسان منذ نشأته الأولى اتصل بالبيئة تكوينه ووجوده و إستمراريته فهو يتفاعل مع ما تحتويه من عناصر ومع ظروفها البيئية وبشكل مستمر يتأثر بها ويؤثر فيها وبالتالي يأخذ منها ما يطلب ويعطيها ما هو مكلف بإصلاحه مما لحق بها من ضرر وفساد وتخريب منه، لذا فجل المخاطر التي تتعرض لها البيئة ما هي إلا نتاج لضعف وغياب الوازع الأخلاقي لدى

الإنسان فسلوكيات الإنسان الناتجة عن أخلاقه لها دور وأثر كبير يعكسه على بيئته التي يعيش فيها لاسيما وأنه المخلوق السيادي فيها وهو الفاعل فيها لذلك فإن أي سلوك يقوم به الإنسان سينعكس سلبا أو إيجابا، ومن هنا تظهر أهمية العلاقة بين الأخلاق والبيئة فالأخلاق لا تمثل ذلك الحصن الذي يستطيع الإنسان من خلاله كسب علاقات مع الآخرين والذي يؤمن له استقراره الداخلي ويثبت علاقاته مع الآخرين فحسب وإنما هي أيضا -الأخلاق- عنصر أساسي ومهم لتوفير الحماية للبيئة فمن خلالها يحافظ الإنسان على استقراره البيئي، فبمقدار تمسكه بالأخلاق كلما قلت مخاطره تجاهها، لأن تصدع المنظومة الأخلاقية لديه سيكون سببا كافيا لزيادة تلك المخاطر فضلا عن الأزمات الاجتماعية من هنا كان من الضروري إصلاح الإنسان قبل إصلاح البيئة لأن انضباطه الأخلاقي يؤدي بالضرورة إلى محافظته عليها.

ومن هنا يمكن اعتبار العلاقة بين الإنسان والبيئة من أهم المواضيع الحيوية التي تكتسب أهمية كبيرة في ظل التحديات التي تواجه العالم اليوم، لذا فاستغلال موارد الطبيعة المفرط مع تدهور النظم البيئية كلها أمور تتطلب منا ضرورة إعادة النظر والتفكير في كيفية وطريقة تعامل الإنسان مع ما يحيط به أو مع بيئته من جانب أو من منظور أخلاقي.

لذا فالبيئة ليست مجرد مورد اقتصادي فحسب وإنما هي -البيئة- أمانة أخلاقية تستدعي من كل واحد منا التزاما للحفاظ عليها ولضمان استدامتها للأجيال القادمة، فعلاقة الإنسان بالبيئة من الناحية الأخلاقية تعتمد على مجموعة من المبادئ والقيم التي من خلالها نستطيع التحكم في كيفية تعامل الإنسان مع ما تحتويه هذه البيئة، فكل فرد يجب أن يدرك تأثير أفعاله على البيئة وأن يسعى جاهدة للتقليل من الأضرار الناجمة عنها، لأنه جزء من النظام البيئي وإن لم يدرك

ذلك فلن يتمتع عن إلحاق الضرر بمنظرها واستغلالها بطريقة أنانية تؤدي إلى استنزافها.

لذا فالأخلاق البيئية ضرورية للعمل من أجل تحقيق تنمية مستدامة والتي تلبي حاجيات الحاضر مع اكتساب القدرة على المحافظة عليها للأجيال القادمة مستقبلا. وهذا ما يؤكد عليه بعض الفلاسفات والديانات على أهمية العناية بالبيئة واعتباره واجب أخلاقي.

فعلاقة الإنسان بالبيئة تتطلب إذن وعيا عالميا وتعاوننا إيجابيا من أجل المحافظة على المحيط أو الأرض كبيت مشترك واحد.

فأهمية هذا البحث تكمن في الحاجة الملحة والماسة إلى ضرورة تسليط الضوء على البعد الأخلاقي في علاقة الإنسان بالبيئة، خاصة في ظل التدهور البيئي، لذا تهدف هذه الدراسة إلى تقديم رؤية أو نظرة شاملة حول كيفية بناء علاقة تكون مسؤولة بين الإنسان والطبيعة بما يساهم في الحفاظ على توازنها البيئي مع تحقيق عدالة بيئية.

ولعل من أهم أهداف هذا البحث نجد:

ضرورة توضيح مفهوم الأخلاق البيئية وأهميتها مع دراسة السلوك البشري على البيئة من منظور أخلاقي.

تقديم بعض الحلول والاستراتيجيات بهدف تعزيز القيم الأخلاقية والإنسانية في التعامل مع البيئة وذلك من خلال تحليل أمثلة تكون ناجحة وقادرة على تحقيق توازن بين التنمية وحماية البيئة ومواردها الطبيعية.

وقد تم استخدام المنهج الوصفي والتحليلي في هذه الدراسة، فالمنهج الوصفي ساعد في وضع وصف شامل للمفاهيم الأساسية، بينما نجد استخدام المنهج التحليلي في دراسة التأثيرات المتبادلة بين الإنسان والبيئة وذلك من وجهة نظر أخلاقية.

أما عن أهم الفرضيات المتوصل إليها حول هذه الدراسة فنجد أن:
الوعي البيئي والأخلاقي عامل حاسم في المحافظة على التوازن المرجو.
زيادة وعي الإنسان بأهمية بيئته وأثر سلوكه عليها قد يعزز من تحقيق تنمية مستدامة ويؤدي إلى التقليل من وجود تدهور بيئي.

القيم الدينية والثقافية التي تربي ونشأ عليها الإنسان تسهم في تشكيل وتكوين رؤية كاملة بمسؤولية الإنسان تجاه بيئته، ما يساعده على الحد من التلوث واستنزاف الموارد.

تحقيق العدالة البيئية يعتبر ضرورة بيئية بين الأجيال الحالية والمستقبلية، وذلك يتطلب التزاماً أخلاقياً من خلال استخدام الموارد الطبيعية بشكل معتدل ومستدام. التكنولوجيا يمكن أن تكون أداة فعالة وناجحة في الحفاظ على البيئة إذا استخدمت بطريقة أخلاقية والتي تسهم في تقليل الآثار السلبية للنشاط الإنساني على البيئة.

تأثير السلوك البشري المباشر على البيئة هو محور يفصل بين المحافظة عليها أو القضاء عليها، فالسلوك السليبي للإنسان مثل التلوث والإفراط في الاستهلاك يؤدي إلى اختلال التوازن البيئي ما يبرز ضرورة الالتزام بقيم أخلاقية.

ضرورة التوعية والتعليم باعتبارها وسائل فعالة، فالتوعية البيئية والتعليم الأخلاقي يساهمان في تقوية وتعزيز المسؤولية البيئية لدى الأفراد وحتى المجتمعات.

ومن هنا يمكن القول أن العلاقة الأخلاقية بين الإنسان والبيئة يمكن تعزيزها من خلال الوعي والقيم الدينية والثقافية والتكنولوجية والسياسات العادلة، كما يجب دمج الأخلاقيات في جميع الجوانب المتعلقة بالبيئة وذلك بضمان استدامة في مواردها والحفاظ على توازنها البيئي.

من خلال ما سبق يمكننا أن نطرح التساؤل التالي:

-هل يمكن للمنظومة الأخلاقية لدى الإنسان أن تكون كافية للمحافظة على البيئة؟

أو بعبارة أخرى هل تكفي الأخلاق على إنشاء الإنسان الذي يعرف قيمة البيئة ويحافظ عليها؟

1. مفاهيم البحث الخورية

1.1 الأخلاق:

لغة: "جمع مفردة خُلِقَ بضمتين وخُلِقَ بضم وسكون"¹، كما يطلق هذا اللفظ "على ثلاثة معاني الطبع والسجية والدين"² فإن أُعْتُبِر الخلق على أنه ما تطبع به الإنسان من أجل خلقه فهو طبع لأن "الطبع ابتداء صفة الشيء طبع اللبن طبعاً والدرهم والبين صاعه"³، وإن نظر إليه على أنه صفة ثابتة في الإنسان فهو "سجية لأن سجا بمعنى سكن ودام"⁴ وبناء على ما تم ذكره يمكن القول أن الخُلُق هو الصفات التي تتصف بها نفس الإنسان.

اصطلاحاً: عرفه ابن مسكويه بقوله: "حالة للنفس داعية لما إلى أفعالها من غير غرور ولا روية، وهذه الحالة تنقسم إلى قسمين:

أ- منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء، كأن يغضب ويهيج من أقل سبب، والإنسان الذي يجبن من أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك مفرطاً من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويجزن من أيسر شيء يناله.

¹ - بن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، د.ت، ص10/75.

² - المرجع نفسه، ص75.

³ - المرجع نفسه 232.

⁴ - المرجع نفسه، ص282.

ب- ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر عليه أولا فأولا حتى يصير ملكه وخلقاً".¹

2.1 البيئة:

لغة: البيئة لغة على وزن الفِعلَة من الفعل باء ... قال ابن منظور: "والبيئة والباء والمباة المنزل وقيل منزل القوم حيث يتبوؤون من قبل واء أو سند جبل ... وباءت بيئة سوء على مثال بيعة أي: بحال سوء لحسن البيئة"²، وهذه المعاني كلها تدور حول المكان الذي ينزل به الإنسان ويتضح أن حالة الإنسان تأتي من مكانه، فإن شعر بالراحة في مكانه كانت حالته حسنة وكذلك العكس.

اصطلاحاً: عرفتھا منظمة اليونسكو " بأنها مجموعة الأنظمة الطبيعية والاجتماعية التي يعيش فيها الإنسان والعضويات الأخرى والتي يستمد منها عيشه".³

وعرّفھا بعضهم على أنّھا " الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر".⁴ أو هي كذلك " المحيط الذي تعيش فيه مؤلفا من الأرض وغلافها الجوي وما عليها وما في باطنها".⁵

¹ - بن مسكويه أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب ، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة الثقافة الدينية، ص41.

² - بن منظور محمد بن مكرم ، لسان العرب، ص36.

³ - قاضي فائزة وفلاح سميرة، دور المدرسة في المحافظة على البيئة، وزارة التعليم العالي، الجزائر، 2004/2003، ص4.

⁴ - رشيد الحمد وصباريني محمد سعيد ، البيئة ومشكلاتها، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د.ط، الكويت، 1979، ص24.

⁵ - الضاهر عدنان صادق، أحكام البيئة في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009، ص4.

3.1 الفساد:

عرفه ابن منظور مثلاً بقوله: "الفساد نقيض الصلاح"¹، أما الجرجاني فرمى بين ماهيته من خلال قوله: "الفساد زوال الصورة عن المادة بعد أن كانت حاصلة"². ومن خلال كلام الجرجاني وأهل اللغة أن الفساد وهو خروج الشيء عن الاعتدال والصحة مع فقدانه لخواصه وماهيته، فمثلاً فساد الطعم أي خروجه عن لذته وفائدته ونقول أيضاً فساد العين أي خروجها عن العافية وفقدانها الرؤية وهكذا ... وهنا فساد البيئة تعني خروجها عن حد البيئة وفقدانها لنفعها وفائدتها، فالماء مثلاً يتعكر ولا يحقق العافية، كما يتلوث المواد ويفقد صفة الإنعاش. ففساد البيئة إذن يظهر لنا انتكاسها ومرضها وتحولها لمصدر خطر على حياة الإنسان بدلاً من عافيته وهنا يطرح سؤال: من هو المسبب الرئيسي في هذا الفساد؟

2. تحليل إشكالية البحث

إن الله عز وجل خلق البيئة وبما فيها من مكونات ومقومات وعناصر طبيعية صالحة وخالية من أي ضرر أو تخريب أو فساد. وبالتالي فمعنى صالحة تبرز لنا أنها تقدم النفع والخير للإنسان ولا تمثل مصدر خطر عليه، وذلك بما أقام الله عليها من قوانين، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾³، فالآية توضح لنا أن الله أقام الأرض على الصلاح لا على الفساد وقد حذر من فساده من أعمال البشر، وهناك آيات تبين لنا أن الأرض بصفة عامة جعلها الخالق - الله - للإنسان كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁴، وأيضاً قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ص 335.

² - الجرجاني، التعريفات، ص 166.

³ - سورة الأعراف، الآية 56.

⁴ - سورة الجاثية، الآية 13.

سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى¹، فنحن ندرك تماما أن البيئة كلها خلقها الله طيبة تحقق نفع الإنسان وخيره وليس فيها موضع للضرر. ونجد بعض الآيات تفصل في ذلك كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33)﴾².

وقوله أيضا: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾³، وفي قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾⁴ ومنها كثير فهذه الآيات توضح أن كل ما خلقه الله هو فيض منه للإنسان، فالبيئة كلها بمائها وهوائها ونباتها وبحرها خلقها الله صالحة ونافعة للإنسان صنع القدير الخالق، أقامها الله على قوانين وقدرها بالشغل الذي تكون فيه نافعة له، فالقوانين الإلهية تحقق التوازن والتكامل البيئي لكن الأمر لم يبق كما هو فما خلق صالحا أصبح يمثل مصدر خطر كبير وأصاب الخلل النظام البيئي حيث وقعت البشرية جمعاء في كوارث ومحن نتيجة لذلك، فمن المسؤول عن ذلك الخلل يا ترى؟ ومن أين دخل؟

يعتبر الإنسان المصدر الأول الذي نتج عنه الفساد والضرر والتخريب، فهو الذي يحدث الخلل في توازنها وذلك من خلال ما يترتب عن سلوكياته السلبية نحوها، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾⁵، فالآية توضح لنا أن سعي الإنسان السيئ في

¹ - سورة طه، الآية 53.

² - سورة إبراهيم، الآية 32/33.

³ - سورة النحل، الآية 14.

⁴ - سورة النحل، الآية 05.

⁵ - سورة الروم، الآية 41.

الأرض وكسبه السيئ هو السبب الوحيد في وقوع الخلل، وحول هذه الآية يقول ابن كثير: "ظهر الفساد في البر والبحر أي بأن النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي"، وقال أبو العالية: "من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة".¹

ولما كان الإنسان هو سبب ومصدر الفساد أمره الله سبحانه وتعالى وحذره ونهاه عنه، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾²، فالإنسان يشكل خطورة على البيئة فهو يفسد كل شيء تفكير منه بأنه يفسد نظام الخالق، فالإنسان أهم عامل حيوي في إحداث التغيير البيئي والإخلال الطبيعي والبيولوجي، فهو منذ وجوده يتعامل مع مكونات البيئة وكلما توالى الأعوام وازداد الإنسان تحكما في البيئة خاصة بعدما وصل إليه التقدم العلمي والتكنولوجي الذي أحدث فجوة كبيرة في النظام البيئي وإحداث التغيير في البيئة، فللتصنيع والتكنولوجيا الحديثة آثار سلبية على البيئة، وبالتالي فالإنسان أفسد بيئته وجعلها غير ملائمة لحياته وهذا كله بسبب ما قدمت يديه وعقله.

وحتى تكون سيادة الإنسان على الأرض صالحة ونافعة وحتى يحافظ على صلاحية الأرض قد أنزل الله على الإنسان هدى وهو المنهج الذي يتبعه الإنسان حسب ما أوصى به عز وجل، فإن اتبعه عاش سعيدا وإن ابتعد عنه عاش شقيا وشقيت معه الأرض وفي هذا قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)﴾³،

¹ - ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر، ط2، 1999، ص319.

² - سورة الأعراف، الآية 56.

³ - سورة طه، الآية 123-124.

فالسعادة إذن ترتبط بإتباع منهج الله وبتركها يشقى الإنسان، " لذا فالبيئة تتأثر بحسب التزامه بهدي الله تعالى، فإن أحسن حسنت لأمرين:

لأنه يسير معها على المنهج الذي يحافظ على توازنها وصلاحها، ولأن الله سيزيد من البركة والخير والطاعة، فتنمو بيئته وتزدهر".¹

لذا فالإنسان إذا أساء السير على منهج الله تعالى ساءت معه البلاد والعباد، وشقيت معه كذلك البيئة وذلك لأمرين: " لأنه إن هجر منهج الله تعالى فسيستخذ منهجا من صنع البشر وأهوائهم وجهلهم، فيغير موازين البيئة، ويحدث الخلل فيها فتفسد وتتضرر كما هو ملاحظ، لأن الله سيعاقبه على كفره وضلاله بمحق الخير وانعدام البركة، فتقل الأمطار وتجف الأرض وتموت المزروعات وتتأثر الثروة الحيوانية بذلك، فتصبح البيئة في خطر من عقوبة الله للعباد".² وفي هذا يقول تعالى عن قوم موسى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾³

فالفاحشة وارتكاب المعاصي تسبب الطاعون والأمراض والتي تنتج كلها من فساد البيئة "فالغش في البيع يثمر شدة المؤنة والسنين أي أيام المجاعات وهي نتيجة قلة الأرزاق من ضعف وانعدام المخزون المائي وهذا كله يؤثر على الثروة الحيوانية ولهذا لولا الخوف من انقراض البهائم ما نزلت المطر".⁴

وخلاصة الكلام أن سبب ابتعاد الإنسان عن منهج الله أدى به إلى ارتكاب الفواحش والمعاصي لأن الله قد استخلفه في الأرض ومكنه ليكون سيد المخلوقات والفاعل المؤثر بالبيئة، وعندما يعرض عن هدي الله يفسد البيئة ويحدث الخلل والضرر في توازنها، وإن التزم بهدي الله صلح وصلحت معه البيئة. فإن فهم الإنسان البيئة

¹ - هاروش أئمن محمد ، أثر الأخلاق في الحفاظ على البيئة، دط، القاهرة، 2013، ص15.

² - هاروش أئمن محمد ، أثر الأخلاق في الحفاظ على البيئة، ص16.

³ - سورة الأعراف، الآية 133.

⁴ - المرجع نفسه، ص17.

فهما صحيحا بكل عناصرها ومقوماتها وتفاعلاتها المتبادلة، سعى لحمايتها وممارسة علاقاته والحصول على رزقه دون إتلاف أو فساد. لأن تمسك الإنسان بعقيدته وكل ما تنطوي عليه ثقافته من قيم وآداب وعلوم حافظ على بيئته وعلى نظامها البيئي.

إن جعل الحفاظ على البيئة قيمة أخلاقية إيمانية أكبر دافع للحفاظ عليها " لأن الإنسان لا يقاد إلا من عقيدته ولا يخضع طوعية في السر والعلن إلا لسلطان الإيمان، لذلك عندما ينظر إلى الحفاظ على البيئة على أنه جزء من الإيمان وأنه دليل حسن الخلق... فإنه يحرص كل الحرص عليها".¹

فالإنسان لم يترك النظم البيئية ثابتة وكما هي وإنما استغلها بكل قوة وبطريقة غير نظامها فأخل به، وليس ثمة شك أن الإنسان المعاصر اليوم ومن خلال ما اكتسبه من تقنيات متطورة وعالية وتفوق علمي إبداعي قد زادت قوته وإمكانياته في استغلال موارد البيئة استغلالا سلبيا ما أدى به إلى الفساد وضرر كبير أصاب به البيئة ونظامها البيئي.

بعدما بينا أهمية البيئة في الإسلام، ودور القيمة الخلقية في المحافظة على البيئة ونظامها البيئي، سنحاول أن نلمس بعض الأخلاق الإسلامية التي تربي المسلم عليها للمحافظة على البيئة وأهم هذه الأخلاق نذكر منها:

1. الشكر: يعتبر الشكر برهان الإيمان فقد قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فَنَنَّهُ وَإِنَّا نُرْجِعُونَ﴾ وطريق النجاح في هذا الصبر على الشر والبلاء والشكر على الخير كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾²

فالشكر هو سبب الزيادة والبركة وكلما شكر الإنسان الله على نعمة سيزيده نعم على نعم، وليس الشكر حمد وثناء باللسان فقط وإنما هو سلوك وعمل وتطبيق

¹ - المرجع نفسه، ص 21.

² - سورة النحل، الآية 14.

يظهر من خلاله تقدير لنعمة الخالق قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾¹.

2. الطهارة: تعتبر الطهارة من أبرز القيم الأخلاقية والسلوكية التي يجب على المسلم التحلي بها والتخلق بها وهي من أهم القيم التي يحبها الله عز وجل كما تعتبر شرط الإيمان قال عليه الصلاة والسلام: «الطهور شرط الإيمان»²، وقد جعلها الإسلام شرطاً في كثير من العبادات مثل الصلاة، وقراءة القرآن، والاعتكاف والطواف... الخ قد حرم الماء المتنجس، ففي حديث جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنه نهي أن يبال في الماء الراكد»³.

3. النظافة: فالنظافة هي عبارة عن خلق إسلامي للمحافظة على البيئة، فالنظافة هي شعار التجميل، ولذا فقد حث ودعا الإسلام إلى النظافة ونحن هنا لا نقصد بالنظافة نظافة اللباس والجسد فحسب وإنما نظافة البيت والشارع والأماكن العامة وقد تأسست وبنيت لعدد من النصوص على أهمية النظافة قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾⁴ نظافة لها أثر كبير في الحفاظ على «سلامة الجسد ونقاء الهواء وصحية الحيوان وسلامة النبات، والحفاظ على نقاء الماء...، وعندما يصبح خلق النظافة راسخاً في الفرد والمجتمع تصبح البيئة أكثر أمناً وجمالاً»⁵ فالنظافة هي طريق الإنسان إلى تحقيق مجتمع راقى ونظيف ونقي وبالتالي فالعودة عليها لباساً ومكاناً يساعد على أمن البيئة وسلامتها من التلف والتخريب والفساد.

خاتمة:

¹ - سورة سبأ، الآية 14.

² - أخرجه مسلم، رقم 223، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء.

³ - أخرجه ابن ماجه، رقم 342، كتاب الطهارة، باب التشديد في البول، صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم 161، ص 37.

⁴ - سورة الأعراف، الآية 31.

⁵ - هاروش أمين محمد، أثر الأخلاق في الحفاظ على البيئة، ص 27.

لقد بينا في هذه الورقات البسيطة أهمية الأخلاق في المحافظة على البيئة باعتبارها -البيئة- من أعظم نعم الله على الإنسان والتي خلقها لتحقيق نفع وخير للإنسان، فالقيمة الخلقية هي خير دافع للإنسان حتى يحافظ على ما يحيط به من موارد طبيعية، لأن تربية الأفراد على القيم الأخلاقية والمبادئ الدينية هي خير منشئ للإنسان حتى يحترم محيطه الذي يعيش فيه وحمايته من كل فساد يصيبه وهكذا يستطيع الإنسان أن يحقق التوازن البيئي القائم على التعايش على هذه الأرض والذي يضمن له الاتحاد والتفاعل مع نظامه البيئي، إذن فالأخلاق البيئية قيمة لا غنى عنها إذ يتعامل بها جميع الأفراد والمجتمعات مع مواردهم الطبيعية وكيفية استغلالها الاستغلال الأمثل من أجل المحافظة عليها للأجيال القادمة.

حيث من أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة:

- أهمية الأخلاق في الحفاظ على البيئة، حيث أن الأخلاق تلعب دورا مهما وجوهريا في تقوية وتعزيز احترام الإنسان للبيئة والحد من تلك الممارسات الضارة مثل التلوث والاستغلال المفرط للموارد البيئية.
- يمثل الوعي البيئي كعامل محوري في زيادة وعي الأفراد والمجتمعات بأهمية البيئة وضرورة التقليل والحد من السلوكيات والأفعال التي تضر بالبيئة والدعوة إلى تبني سلوكيات مسؤولة تجاه البيئة.
- تدهور البيئة وذلك نتيجة لغياب المسؤولية، فغياب القيم الأخلاقية في التعامل مع ما يحيط بنا يؤدي إلى ظواهر خطيرة مثل التغير المناخي، وفقدان التنوع البيولوجي مع استنزاف كل موارد الطبيعة.
- أثر السلوك الإيجابي على التوازن البيئي، فالسلوك الأخلاقي والمسؤولية تجاه البيئة يساهمان في تحقيق التوازن الطبيعي مما يعود بالخير والنفع على الإنسان وأنظمة البيئة.
- الحاجة إلى وجود سياسات بيئية أخلاقية تساعد في الحد من الكوارث البيئية والحفاظ على الموارد الطبيعية.
- التأثير المتبادل بين الإنسان والبيئة، فهناك علاقة متبادلة بينهما حيث أن أي إساءة للبيئة تنعكس سلبا على صحة الإنسان ونوعية حياته.

- التكنولوجيا كوسيلة للحفاظ على البيئة، إذ يمكن أن تكون أداة فعالة في التقليل من الأضرار السلبية على البيئة إذا ما تم استخدامها وفق معايير أخلاقية تراعي استدامة تلك الموارد الطبيعية.
- إمكانية تحقيق الاستدامة وذلك بالاعتماد على قيم أخلاقية واضحة مثل المسؤولية والتعاون يمكن تحقيق التنمية المستدامة التي تحافظ على البيئة للأجيال القادمة.
- ضرورة تبني مفهوم العدالة البيئية، وتحقيقها بين الأجيال الحالية والمستقبلية يتطلب منا التقليل من الاستهلاك المفرط للموارد والعمل على توزيعها بشكل عادل.
- وهكذا فالنتائج تؤكد على أن العلاقة الأخلاقية التي تجمع بين الإنسان والبيئة ليست مجرد قضية فلسفية، بل هي ضرورة عملية وذلك لضمان استدامة الحياة، وتتطلب هذه العلاقة تضافر الجهود الفردية والاجتماعية لتعزيز القيم الأخلاقية.
- ومن أهم الاقتراحات المتوصل إليها في هذا البحث:
- وضع مبادئ دينية وفلسفية تعزز العلاقة الأخلاقية بين الإنسان والبيئة مع الاستشهاد بأمثلة من مختلف الثقافات والحضارات.
- أخذ عينات أو تقديم أمثلة ملموسة من مجتمعات ودول نجحت في بناء علاقة أخلاقية مع البيئة.
- استخدام إحصائيات ودراسات حديثة وذلك بالاستناد إلى بيانات حديثة توضح حجم التدهور البيئي ومدى تأثير ذلك على الإنسان لإبراز أهمية الالتزام الأخلاقي.
- ضرورة مناقشة التغير الحاصل في علاقة الإنسان بالبيئة مع التقدم التكنولوجي والصناعي وتأثير ذلك على القيم الأخلاقية.
- ضرورة وأهمية إدخال التربية البيئية في المناهج التعليمية وذلك من أجل تعزيز القيم الأخلاقية منذ الصغر.
- تعزيز الوعي الاجتماعي وذلك باقتراح جملة حملات توعوية تحث على الالتزام الأخلاقي تجاه البيئة.
- دراسة دور المجتمعات المحلية في المحافظة على البيئة وذلك من خلال التركيز على بعض العادات والتقاليد التي تدعم وتقوي الاستدامة.

- اقترح بعض المشاريع العملية مثل تشجيع استخدام وسائل نقل حديثة، أو تقنيات إعادة التدوير للتقليل من التلوث البيئي.
- استخدام التكنولوجيا كأداة للحفاظ على البيئة وذلك من خلال الابتكارات التقنية والتي تعمل على تحسين علاقة الإنسان ببيئته مثل استخدام الذكاء الاصطناعي لإدارة الموارد الطبيعية.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم

الحديث النبوي الشريف

1. ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر، ط2، 1999.
2. بن مسكويه أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.
3. بن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت، د.ت.
4. رشيد الحمد وصباريني محمد سعيد، البيئة ومشكلاتها، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د.ط، الكويت، 1979
5. الزاهر عدنان صادق، أحكام البيئة في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009.
6. قاضي فائزة وفلاح سميرة، دور المدرسة في المحافظة على البيئة، وزارة التعليم العالي، الجزائر، 2004/2003.
7. هاروش أيمن محمد، أثر الأخلاق في الحفاظ على البيئة، دط، القاهرة، 2013.